

النشاط القرائي في التعليم الابتدائي في ظل المقاربة بالكفاءات

كتاب اللغة العربية للسنة 4 ابتدائي أ نموذجاً
- دراسة تحليلية -

د. شفيقة العلوي

المدرسة العليا للأستاذة بوزريعة - الجزائر

الملخص:

القراءة وسيلة هامة لاكتشاف المعرفة واستثمارها فهما، تحليلاً وتركيباً. لذلك ظهرت المقاربة بالكفاءات كمنهج بديل عن الطرق الكلاسيكية من أجل تفعيل المهارات المكتسبة وترقية العملية التواصلية في المدرسة الجزائرية وخارجها. وتمكين المتعلم من التعبير عن مشاعره وتجاريه داخل المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه .

الكلمات المفتاحية : القراءة - النشاط القرائي - العملية التواصلية - المقاربة بالكفاءات -

أنواع القراءة

Résumé :

La lecture est devenue aujourd'hui un important instrument pour enrichir la connaissance et l'exploiter grâce à la compréhension, l'analyse et la synthèse.

De ce fait, l'approche des compétences a révolutionné les méthodes classiques pour une meilleure acquisition de ces dernières et une mise à niveau scientifique continue de l'élève dans et en dehors de l'école algérienne, à même de lui permettre de s'exprimer convenablement dans sa langue maternelle ou une langue étrangère et de s'entraîner à utiliser les informations et compétences de base pour aller à la découverte d'objets et de son entourage, afin qu'il puisse communiquer sans crainte.

Les mots clés : la lecture–l'activité de lecture– les genres de lecture–opération de liaison

–l'approche des compétences

تمهيد:

تعدّ القراءة الوسيلة الأساسية التي تمكّن المتعلّم من اكتشاف المعرفة بمختلف أشكالها واستثمارها في أبعادها العميقة فهما، تحليلاً وتركيباً. إنّها الدّعمة الأساسية التي تضمن تواصل المتعلّم مع غيره وبواسطتها يعي ما يحيط به. لهذه الأسباب حظي النشاط القرائي بأهمية كبيرة في المنظومة التربوية التّعليمية، إذ نادى الإصلاح التربوي منذ سنوات 2003-2004 بضرورة تفعيله (أي النشاط القرائي) واتخاذ منه منطلقاً لتدبّر كافة النشاطات اللغوية الأخرى النحوية والصرفية والإملائية والمعجمية في محاولة لإعادة هيكلة العملية التعليمية وتثمين نتائجها وترسيخ المهارات الأساسية عند المتعلّم إن على مستوى الإبداع المادي (التعبير الكتابي) أو المعنوي (التعبير الشفوي) أو على مستوى التّحليل وبناء المقاصد⁽¹⁾.

1- نشاط القراءة: الماهية

إنّ القراءة لغة مشتقة من قرأ يقرأ قرأنا أي تلا المكتوب أمام عينه أو طالع⁽²⁾. فالقراءة تلاوة المكتوب. قال تعالى: (إنا علينا جمعه وقرأناه) أي جمعه وقرأاته. أما اصطلاحاً: إنّ القراءة عملية عضوية نفسية وعقلية، يتمّ بواسطتها ترجمة الرموز المكتوبة الصوتية إلى معانٍ مقروءة مفهومة تتّضح عند القارئ/المتلقي ويتفاعل معها سلوكياً ومعرفياً⁽³⁾. إنّ القراءة عملية ذهنية تحليلية تفكيكية للنص المكتوب تتّمي أنماط التّفكير والتّفعيل والتّقويم وحلّ المشكلات.

2- أهمية القراءة: لماذا الحاجة للقراءة؟

- إنّ القراءة استقبالي بصريّ للرموز الصّوتية وفهم لتصوراتها وتفعيل لها في حياة المتلقي.
- إنّها تمكّن القارئ من التّعرف على خبرات الأمم، فتتنوّع تجاربه ويتوسّع أفقه الإدراكي، وتتقوّم شخصيته، ويتهدّب ذوقه⁽⁴⁾.
- إنّ القراءة وسيلة لفهم الذات والمجتمع والسيطرة على الغد.
- إنّها تكسب التلميذ مفاهيم تتّمي المهارات القبلية وتمدّه برصيد لغوي ثريّ يزيد من قدراته على التواصل⁽⁵⁾.

- إنَّ القراءة طريق لتعلّم الكتابة واستعمالها وظيفيا⁽⁶⁾.

3- أهداف القراءة:

إنَّ للقراءة أهدافا تربوية بيداغوجية نجملها في:

- 1- أن تكون نشاطا مقربا من التلميذ ومحفزا له للاستمتاع ولاستغلال وقت الفراغ بما ينمي القدرات الفكرية ويعمق الإمكانيات التحليلية.
- 2- أن تغرس المثل العليا في التلميذ وتحبّب إليه التقرب من المصادر والتراث الخاص والإنساني وتؤكد صلته بأسلافه⁽⁷⁾.
- 3- القراءة تكسب التلميذ القدرة على الاستنتاج والنقد، فيتعدّل السلوك المعرفي والاجتماعي.

4- أنواع القراءة:

تنقسم القراءة عند أهل الاختصاص إلى أنماط هي: القراءة الصامتة أو السرية والقراءة الجهرية المنطوقة والاستماع باعتباره وسيلة فهم وإفهام، ومن ثمَّ يعدّ تواجدا بين المتكلم والسّامع⁽⁸⁾.

أ- القراءة الصامتة السرية:

إنّها قراءة بصرية تنقل النصّ اللفظي المكتوب إلى المراكز العقلية (الدماغ) حيث يتمّ إدراكه دون تحريك أي عضو من الجهاز النطقي (إنّها عملية حلّ للرموز المكتوبة وفهم لمدلولاتها بطريقة هادئة تتسم بالسهولة والدقة... إذ تنتقل العين فوق الكلمات وتنتقل عبر أعصاب العين إلى العقل مباشرة ثم يأتي الردّ سريعا من العقل حاملا المدلولات المادية أو المعنوية للكلمات المكتوبة كي تؤدي المعنى الإجمالي للمقروء)⁽⁹⁾.

- إنَّ القراءة الصّامتة تطيل وقت التعلّم ما يسمح بالمناقشة وبذل الجهد وإعمال العقل، فيتمكّن التلميذ من تفعيل التعلّم الذاتي، والتعود على التركيز والتعليل وعقد المقارنات⁽¹⁰⁾.

- إنَّ القراءة الصامتة السرية طريق لكسب المعرفة داخل المدرسة وخارجها، فهي مريحة لما يكتنفها من الهدوء والصمت، اقتصادية وسريعة لأنها تمكّن التلميذ من قراءة نصوص كثيرة في زمن وجيز⁽¹¹⁾.

إنّ من مزايا القراءة الصامتة أيضا:

- تريحُ الجهازَ النطقي للتلميذ وتجنّب السامع الإزعاج الذي قد يحدث أثناء النشاط القرآني الجهري.
- القراءة الصامتة تحفظ المعلومات وتخزنها في ذهن القارئ فلا يعلم بها المحيطون به*

ب- القراءة الجهرية:

هي قراءة صوتية نطقية تسمعها الأذن ويدركها العقل، ولكي يحقق هذا النمط القرآني أهدافه البيداغوجية المنوطة، لابد أن:

- يكون المحتوى المكتوب واضح الشكل مضبوط الحركات مراعيًا للأحكام اللغوية المعيارية، ملتزمًا بعلامات الوقف والترقيم.
- أن تعبّر عن المعاني وتثري عقل السامع وتؤثر على خوالجه وتشعره بالثقة، فيرتفع عنه الخوف والتردد والخل الذي يعدّ عقبة خطيرة أمام الغايات التعليمية، وبذلك يصبح التلميذ فردًا من المجتمع قادرًا على تحدّي الجمهور والتفاعل معه⁽¹²⁾.
- رغم هذه الأهمية الاستراتيجية التي اختصّت بها القراءة الجهرية إلا أنّ لها عيوبًا بحسب رأي التربويين، أهمّها:

- 1- قد تكون سببًا لانشغال المتعلّم وانصراف ذهنه عن النصّ المكتوب المقروء خاصة إذا طال (أي النص).
- 2- قد لا تتّسع الحصّة لجميع تلاميذ القسم حتى يقرأوا ويُبَيّنوا عن قدراتهم النطقية السليمة وملكاتهم اللغوية.
- 3- قد تؤدي إلى الشعور بالإجهاد والتعب وبخاصة إذا اعتمد فيها على الصوت العالي النبرة والأداء القوي⁽¹³⁾.

5- استراتيجية المقاربة بالكفاءات

لقد اعتمدت المدرسة الجزائرية منذ إعلان الإصلاح التربوي المقاربة بالكفاءات كمنهج تعليمي بديل عن الطرق الكلاسيكية ينطلق من المقاربة النصية ليصل إلى إدماج المعارف والقدرات وتنمية كفاءات المتعلم وتطويرها⁽¹⁴⁾.

إنّ التدريس وفق مبدأ المقاربة بالكفاءات يلزم المعلم (التدرّج في المنهجية البنائية... والصعوبة وصولاً إلى نوع من التجريد والتعميم)⁽¹⁵⁾.

تهدف المقاربة بالكفاءة إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية تواصلية تكسب التلميذ النظرة الشاملة نحو العالم الخارجي وتنمي شخصيته الفردية من الناحية الوجدانية، العقلية والجسمية رابطة النشاط التعليمي بالواقع الحياتي في حركة حلزونية لا تراكمية.

6- المقاربة بالكفاءات وتفعيل العمل التربوي

نشاط القراءة للسنة 4 ابتدائي نموذجاً

تهدف المقاربة بالكفاءات في إطار العملية التربوية التعليمية إلى جعل التلميذ محور النشاط التعليمي والغاية الاستراتيجية من وضع وتأليف المناهج البيداغوجية، وبهذا تحقق أولى خطوات التغذية الراجعة والتحصيل المعرفي. ويتأكد-بذلك- إسهام بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في ترقية العمل التربوي واستغلال المعارف النظرية المتراكمة - في أثناء المسار الدراسي - من أجل بناء تعلّات داخلية وصناعة التلميذ الكفاء القادر على إبراز جهده الفردي والمساهمة في تحديد مساره التعليمي والمهني وكذا التنسيق مع الآخر (ولهذا أطلق على بيداغوجية الكفاءات تسمية بيداغوجية الأهم وترك المهم)⁽¹⁶⁾.

-* التعريف بالكتاب:

يحتوي كتاب اللغة العربية للسنة 4 ابتدائي على 190 صفحة موزعة بين نصوص القراءة والمطالعة والنصوص التوثيقية والأنشطة اللغوية. وغالبا ما يشمل النص الواحد صفحة أو صفحتين مذيّلة برسومات بصرية ملونة، جذابة تثير القارئ في هذه المرحلة التعلّمية، وتأسره نحو النص ليظل مشدوداً إليه.

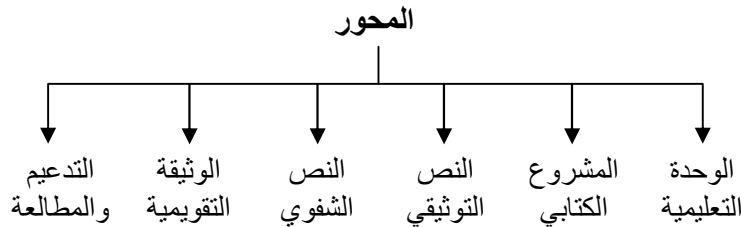
لقد خُطّت العناوين الرئيسية بخط واضح وكبير حجماً، ملوّنة بدورها، وهذا من شأنه أن يسهّل عملية الاكتساب، ويزيد من انتباه المعلم وتركيزه.

وصدّر الكتاب المدرسي "كتابي في اللغة العربية للسنة 4 ابتدائي" بمقدمة - متوسطة الحجم - أفصح من خلالها مؤلفوه عن الأهداف الختامية المتوخاة، وعرفوا بالكفاءات والمقاربة النصية كمنهاج يعتمد في تنشيط مشاريع هذا الكتاب.

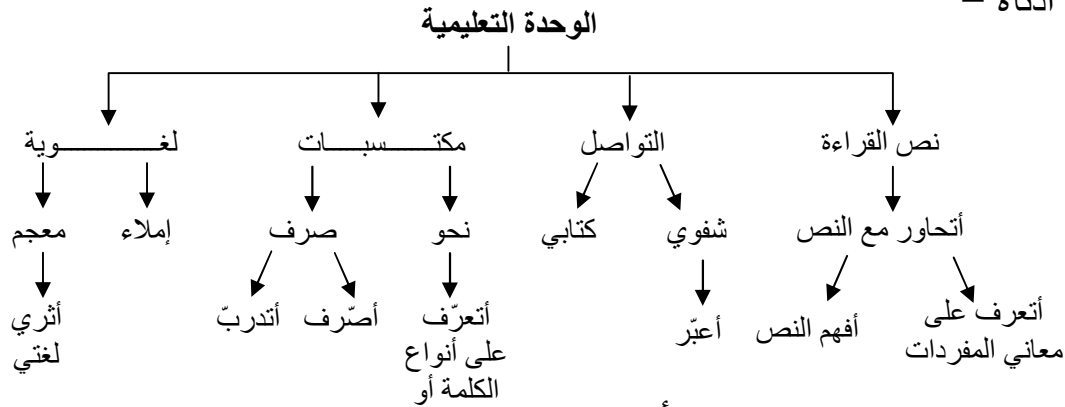
يتكوّن هذا الكتاب من 10 محاور، تشمل 30 وحدة تعليمية ومشروع كتابي ختامي يتّوج بنص توثيقي يسمح (بتوزيع مدارك التلميذ وتكوينه معرفياً عن طريق الاحتكاك بنصوص أصلية تصاحبها صور)⁽¹⁷⁾.

كما يتيح له فرصة تقييم الذات والمكتسبات من خلال مجموعة من التمارين التدرجية، ويختتم كل محور بنص شعري يعدّ دعامة نشاط المحفوظات.

تغطي كل وحدة تعليمية - ينظر المخطط أدناه - أسبوعا تسمح باستغلال نص القراءة يليه نشاط التعبير الشفوي والكتابي اللذين يعتبران كفاءات متواصلة يُهدف إلى توظيفها في وضعيات حقيقية ولمقاصد متعددة⁽¹⁸⁾.



ثم تأتي صفحات للصيغ النحوية والصرفية أو بعض قواعد الإملاء والمعجم - على النحو الموضح أدناه -



والجدير بالتنويه - هاهنا - هو أن مؤلفي كتاب هذه المرحلة التعليمية واعون بأهمية الصورة البصرية الثابتة كوسيلة تأثير ودعاية للنص، وكذا لدور الألوان في تيسير النشاط التعليمي، حيث أرفق كل نص قرائي أو شعري (أي محفوظات) برسومات ملونة جذابة تأسر وجدانية المتلقي، وكذلك فعل في بداية كل محور، إذ بعد أن تحدّد الكفاءات الختامية المستهدفة من نهاية النشاطات، تذيّل الصفحة بصورة تعكس - غالبا - مضمون المحور - ينظر مثلا ص23 من كتاب قصة البطيطة).

* - التعريف بكيفية سير النشاط القرائي

من خلال جلسات استماع ومشاركة مباشرة لبعض حصص اللغة العربية للسنة 4 ابتدائي وفي بعض الابتدائيات بالجزائر العاصمة - المقاطعة الشرقية⁽¹⁹⁾، وبعد استبيان وُجّه لمجموعة من المعلمين الذين تزيد خبرتهم عن 10 سنوات طرحنا عليهم أسئلة حول أهمية القراءة عند

التلميذ وأهم المهارات الأساسية التي يُتوخى اكتسابها، ومدى دورها (أي القراءة) في تنمية الرّصيد اللّغوي، والمعوقات التي قد تحول دون التحقيق الأمثل الوظيفي لنشاط القراءة، توصلنا بعدها - أي بعد هذه الأسئلة - لمجموعة من الملاحظات الاستنتاجية التقويمية، نجلها في:

1- إنّ القراءة في رأي المعلمين (بنسبة 100%) وكذا التربويين المشرفين على هذا القطاع مهارة أساسية تُسهم مباشرة في تنمية الرّصيد المعجمي للتلميذ، ويليهما النشاط اللّغوي بفضيه (النحوي والصرفي)، فهو الذي يساعد على تصحيح الكلام وترسيخ الملكات.

2- إنّ الهدف من نشاط القراءة هو إثراء الرّصيد اللّغوي للتلميذ حتى يغدو قادرا على فهم النص، واستيعابه والاسترسال في التعبير، ويتعود على النطق الجيد ويكتسب الثقة بالنفس.

3- يرى المعلمون (95%) أنّ من الوسائل التّوضيحية التي تيسّر درس القراءة الكتاب، فهو يحتلّ الصدارة لكونه عصب النشاط. وأمّا السبورة فهي التي تمكّن المعلم من تدوين المفردات الصعبة وشرحها أو إعرابها - إن اقتضى الأمر ذلك -.

وأما نسبة (5%) من المعلمين، فإنّها ترى أنّ المدرسة الجزائرية قد لا تتجح في توفير الجوّ التعليمي الإلكتروني المدعّم بالتقنيات الحديثة والكفيل بتوضيح وتيسير النشاط التعليمي، فهي مدرسة كلاسيكية من حيث الوسائل التعليمية.

4- إنّ من أهمّ الأسباب التي تُعيق المعلم في أثناء تقديم النشاط القرائي هو:

- ضعف الرّصيد المعجمي للتلميذ.

- صعوبات النطق.

- اكتظاظ القسم الذي لا يسمح بتوزيع القراءة بتوازن على جميع التلاميذ.

- انعدام الوسائل التّوضيحية في بعض المؤسسات التربوية - على عكس ابتدائيات

المقاطعة الوسطى للعاصمة - التي تتوفر على التكنولوجيا الاتصالية الحديثة

كالفيديو والانترنت. فمثل هذا التطور التكنولوجي سيسمح حتما بتفعيل العمل

التربوي داخل القسم وتحريك المتعلم والتأثير فيه بشكل إيجابي وسريع.

5- يؤكد أغلب المعلمين أنّ للنشاط القرائي دورا مهما في أداء النشاطات اللّغوية فحسب، بل

أيضا يسهم - بشكل مباشر - في تقديم النشاطات غير اللّغوية الاجتماعية (التاريخ

والجغرافيا)، التربوية (التربية الإسلامية والمدنية والعلمية) لأنّها هي الأخرى تستند على

قراءة نص يكون جسرا نحو المكتسبات المستهدفة.

6- يرى أغلب المعلمين الذين استجوبناهم بنسبة 97% أن مستويات الكفاءة هي الهدف الأهم لنشاط القراءة وأن استراتيجيات المقاربة بالكفاءات تعطي للمعلم حرية أوسع لتنظيم النشاطات داخل القسم وتقويم التلاميذ.

7- يرى أغلب المعلمين أن المدرس - في ظل المقاربة الحديثة - له دور يكمن في توجيه أو التنظيم والتحكم في الوقت حتى لا يتجاوز النشاط التعليمي الحجم الساعي المقرر له (45د) وكذا توزيع الفرص التعليمية على جميع التلاميذ داخل القسم.

النتيجة:

رغم حداثة المناهج التربوية: - المقاربة بالكفاءات - ورغم تأكيد كل الفاعلين في هذا الميدان بدءاً من المفتشين والمعلمين على دورها في تنمية المكتسبات وترسيخ التعلّيمات وترقية الذوق، فإنّ مثل هذه المقاربات تبقى غير واضحة الأهداف في ذهن بعض المعلمين، فلا يتمكنون - إذاً - من تحقيق كفاءاتها، خاصة وأنّ تفعيلها في الميدان يحتاج لإمكانيات تعليمية تكنولوجية ولمهارات تبليغية وكفاءات قبلية أساسية قد لا تتوفر عند بعض المتعلّمين وتكوين دوريّ للمعلّم، ليكون على إطلاع دائم ومستمر بمستجدات البحوث البيداغوجية. فالمعلّم هو الحلقة الأهم في العملية التربوية التعليمية والقائد داخل القسم، فهو يرشد التلميذ أثناء القراءة ويثير فضوله نحو النص، يحبّبه إليه، يشجّعه على النطق السليم دونما خوف أو تردد - أثناء القراءة الجهرية - وعلى إعمال الفكر واكتشاف الغاية من الأسئلة التوجيهية وبذلك يرتقي النشاط القرائي داخل الصف وترتقي به كلّ النشاطات العليقة، فيفتح التلميذ - من خلال القراءة طبعاً - على عوالم المعرفة الأفقيّة.

الهوامش:

- ¹ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: تطوير مناهج تعليم القراءة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، 1983، ص5.
- ² ابن منظور: لسان العرب، بيروت 2003، مجلد 3، مادة قرأ، ص42.
- ³ نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس للطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص89.
- ⁴ محمد السيد مناع: تدريس العربية في التعليم العام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2000، ص120.
- ⁵ حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط5، 2004، ص103 وأيضاً المرشد ي التدريس: جبهة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص159.
- ⁶ حسني عبد الباري: عصر فنون اللغة العربية، تعليمها وتقويم تعلمها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص67.
- ⁷ نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، ص21.
- ⁸ فخر الدين عامر: طرق التدريس الخاصة باللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص64.
- ⁹ زكريا إسماعيل: طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة، الإسكندرية، دت، ص115.
- ¹⁰ عبد الباري عصر: تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر 1996، ص211-213.
- ¹¹ محمد صالح سمك: فن التدريس للتربية اللغوية، 1998، ص194. وأيضاً: علي أحمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة، 2000، ص114.
- * رغم كل المزايا التي تتميز بها القراءة السرية إلا أن لها عيوباً أهمها:
أ- الشرود الذهني الذي قد يُصيب القارئ، فيبعده عن الواقع وعن المقاصد.
ب- قد لا تُتيح للمعلم معرفة أخطاء التلميذ وعيوبه النطقية ولا تمنحه الفرصة لتدريبه، وتهينته على القراءة الجيدة (ينظر محمد صالح سمك: فن التدريس، ص192-194).
- ¹² رشدي أحمد طعيمة: تدريس اللغة العربية في التعليم العام، ص125.
- ¹³ محمد سمك: فن التدريس للتربية اللغوية، ص199-201.
- ¹⁴ عبد الكريم غريب: استراتيجيات الكفايات وأساليب تقويم جودة تكوينها، عالم التربية الوطنية، المغرب، ط3، 2003، ص7 وخير الدين هني: مقارنة التدريس بالكفاءات، ص6.
- ¹⁵ محمد صالح حثروبي: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، دار الهدى، الجزائر، 2000، ص59-70. وأيضاً فريد حاجي: بيداغوجيا التجريس بالكفاءات الأبعاد والمتطلبات، الدار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص173.

¹⁶ الدليل التطبيقي للمعلم، المعهد الوطني التربوي، السنة 5، 2001، ص 4-6.

¹⁷ و¹⁸ كتابي في اللغة العربية، السنة 4 من التعليم الابتدائي، مج مؤلفين، إشراف شريفة غطاس، ديوان المطبوعات المدرسية، 2014-2015، صفحة المقدمة.

¹⁹ حضرنا بعض حصص تقديم النشاط القرائي في ابتدائية باب الزوار.

المراجع:

- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق بيروت، 2003، مجلد 3.
- حسن شحاتة: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط 6، 2004.
- حسين عبد الباري: عصر فنون اللغة العربية، تعليمها وتقويم تعلّمها، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.
- رشدي أحمد طعيمة: تدريس اللغة العربية في التعليم العام، القاهرة، 2004.
- زكريا إسماعيل: طرق تدريس اللغة العربية، دار المعرفة، الإسكندرية، د.ت.
- عبد الباري عصر: تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، الدار الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر، 1996.
- فخر الدين عامر: طرق التدريس الخاصة باللغة العربية، عالم الكتب، القاهرة، 2000.
- محمد صالح سمك: فن التدريس للتربية اللغوية: القاهرة، 1998.
- مذكور علي أحمد: تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة، 2000.
- محمد السيد مناع: تدريس العربية في التعليم العام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 2000.
- محمد صالح حثروبي: المدخل إلى التدريس بالكفاءات، دار الهدى، الجزائر، 2000.
- نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس للطباعة، بيروت، لبنان، ط 1، 1985.
- هني خير الدين: مقاربة التدريس بالكفاءات.
- (بدون مؤلف): تطوير مناهج تعليم القراءة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1983.
- وثائق تربوية:
- الدليل التطبيقي للمعلم، المعهد الوطني التربوي، السنة 5 ابتدائي، 2011.
- مناهج اللغة العربية للسنة 4 ابتدائي، المعهد التربوي الوطني، 2011.
- كتابي في اللغة العربية، السنة 4 من التعليم الابتدائي، مج مؤلفين، إشراف شريفة غطاس، ديوان المطبوعات المدرسية، 2014-2015.